القيم الإنسانية في ظل الاغتراب

النوعي عبد القادر[1] سحوان عطاء الله[2]

[1] جامعة الأغواط (الجزائر)

[2] جامعة الجلفة (الجزائر)

ملخص:

يُعنى علم الاجتماع في دراساته وتحليلاته بالعديد من المفاهيم التي تشكل المادة العلمية لهذا الفرع العلمي الهام، وبما أن علم الاجتماع يدرس الظاهرة الاجتماعية، فإنه وكتحصيل حاصل تعتبر القيم الإنسانية من أهم المفاهيم الذي يضطلع هذا التخصص بتشريحها ودراستها وتحليلها، وهي كمفهوم عام وكلاني في علم الاجتماع تشكل بنية معرفية منهجية وتشكل في ذات الوقت سلوكا اجتماعيا انسانيا ظاهرا معاشا نلمسه من خلال الواقع الاجتماعي، وهي على مستويين هامين المستوى الشخصي أو الفردي والمستوى الاجتماعي أو الكلاني أو لنقل الجمعي، وواقع الحال أن هذا المفهوم بتداخله مع مفهوم الاغتراب والذي يشكل هو الآخر مفهوما ذا بال في ميادين علم الاجتماع المعرفية، يشكلان لنا جملة من الإفرازات المعرفية والتي من خلالها نفهم واقعنا الاجتماعي بشكل أفضل، فالقيم الانسانية سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الاجتماعي تتأثر بمدخلات الاغتراب، خصوصا في ظل واقع اجتماعي متغير ومتقلب وهو ما سيتم معالجته في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: القيم ؛ القيم الإنسانية ؛ الإغتراب ؛ هوية المجتمع ؛ القيم الفردية

Abstract:

Sociology in its studies and analyzes is concerned with many of the concepts that constitute the scientific material of this important scientific branch. As sociology studies the social phenomenon, it is the conclusion that human values are among the most important concepts that this specialization undertakes by dissection, study and analysis. Constitute a systematic knowledge structure and at the same time constitute a visible social and human behavior, a pension through social reality . It is at the two important levels of the personal, individual, social, or social level, and the fact that this concept, in its overlap with the concept of alienation, which is also a significant concept in the fields of cognitive sociology, constitute a set of cognitive secretions through which we understand our social reality Better, human values, both individually and socially, are affected by alienation inputs, especially in the context of a changing social reality, which will be addressed in this article.

تعد القيم مفهوما اجتماعيا أصيلا، إلا أنها كبقيم المفاهيم المعروفة في علم الاجتماع تتأثر بما حولها وما يدور في فلك من قيم فهي تتأثر بالقيم في بعدها السيكوسويولوجي وتتأثر بالمفاهيم في بعدها السوسيولوجي، ويعد الاغتراب من بين أهم المفاهيم الاجتماعية كذلك والتي تتأثر بدورها بالقيم ، وبين تأثر وتأثر تنتج لنا مجموعة افرازات نلحظها ونعاينها في الواقع الاجتماعي وندرك كينونتها من خلال الفضاء الاجتماعي، وبالتالي فإن القيم الاجتماعية تتأثر بظاهرة الاغتراب بشكل أو بآخر وهو ما سيتم معالجته نظريا من خلال المقال التالي والمقسم إلى:

1- مفهوم القيم.
2- مفهوم الاغتراب.
3- علاقة القيم بالاغتراب.

1- مفهوم القيم:

1-1- المدلول الفلسفي لمفهوم القيم:

استخدم مفهوم القيم في اللغة الانجليزية "Ethiques" وتعني مجموعة قواعد السلوك أما في اللغة الفرنسية "Valeurs" التي من معانيها ما يعتبر حقا وجميلا وخيرا، أما في اللغة العربية فهي تدل على الشيء الذي يكون ذا فائدة" القيم هي تلك المبادئ الخلقية التي تمتدح وتستحسن وتذم مخالفتها و تستهجن، وباختصار فهي تلك السجايا الكامنة في النفس وهي أيضا المظهر الخارجي لتلك السجايا"(محمد عاطف غيث ، 1979) ، كما استخدم الإغريق القدامى هذا المصطلح "Arete" وهو يشير إلى"الخصائص الصحيحة أو الواجبة للإنسان الفاضل، وفي المجتمعات البدائية نجد هناك اتفاقا عاما في كل منها على بعض الصفات التي يجب أن تتوفر في الزعماء والقادة، والصفات والتي تجعل من الإنسان إنسانا صالحا أو سيئا، محترما أو قليل الأهمية"(حسين عبد الحميد رشوان، 2006) .

لذلك نستطيع أن نفهم من هذا أن القيم هي من بين أهم المرتكزات التي تبنى عليها الأخلاق، التي تضبط التمثلات الكامنة في النفس الإنسانية والتي من خلالها يظهر الوجه الخارجي لها من خلال تعاملاتها وتفاعلاتها مع الآخرين، إن لمفهوم القيم أهمية لجملة من العلوم"فالقيم الاجتماعية التي هي عناصر تركيبية مشتقة من التفاعل الاجتماعي تشكل المكونات الجوهرية للنظرية الاجتماعية وتعتبر دراستها من الأهداف الأساسية للبحث الاجتماعي"(دينكن ميتشل،1981)، وبالتالي تعرف القيم بأنها "الصفات الشخصية التي يفضلها أو يرغب فيها الناس سواءا بالنسبة للفرد، أو الجماعة الاجتماعية في ثقافة معينة"(حسين عبد الحميد رشوان، 2006)، وليس من الغريب أن نجد القيم تعرف في مجال ما اتفق عليه، أي على الرغم من أنها ذات بعد فلسفي نفسي إلا أنه لا يمكن تعريفها وفهمها إلا في الإطار الاجتماعي.

1-2- المدلول السوسيولوجي لمفهوم القيم:

والواقع أن العلوم الاجتماعية تعرف القيم بأنها: "الأفكار المجردة التي تحدد ما يعتبر مهما ومحبذا أو مرغوبا فيه في ثقافة ما، أما المعايير فهي قواعد السلوك التي يتعين على الإفراد انتهاجها إزاء ما يحيط بهم"(عبد العليم محمد، 2003)، إن أي فرد يحس بنوع من المسؤولية تجاه من هم حوله، في المجال الاجتماعي وتكون هذه المسؤولية مسؤولية نمطية تتعلق بجوانب مادية، نفسية واجتماعية، مثل تحمل الأعباء المالية للأسرة أو مسؤولية متابعة الأبناء وتربيتهم، وهذه المسؤولية الاجتماعية هي ذاتها التي تربط بالفرد بزملائه، وبمؤسسته، وبجميع من يحيطون به، إن هذه القيمة، وبالتالي فإن تمثل الفرد لواجباته يختلف تماما عن تلك النمطية التي تم توضيحها سابقا، فتصبح

مسؤولية العمل ترتفع فوق كل اعتبار آخر.. والقيم هي "العناصر الثقافية التي تجعل الثقافات الأخرى عسيرة الفهم، أو بمعنى آخر هي موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير"(عاطف غيث، 1978)، وبالتالي فإن "للقيم التي يؤمن بها المجتمع الإنساني دورا كبيرا في تنوع الثقافات وترجع بعض تلك القيم للأديان السماوية، ولذلك نجد فرقا كبيرا بين مستوى ثقافة المجتمعات الوثنية وثقافات المجتمعات المنتمية للأديان السماوية، ولا شك أن القيم الكبرى التي تنادي بها تلك الأديان، ومنها العمل والعلم والإخلاص والصدق والتعـاون والكرامة وارتفاع مكانة المرأة تلعب دورا كبيرا في النمو وتنوع الثقافة".(عاطف وصفي، 1981)

لذلك فإن "نظام القيم لا يستطيع الإنسان بدونه أن يبلغ نموه"(أوليفيه روبول، 1982)، وتساعد طبيعة الانتماء الجماعي للفرد على تكوين قيمه، ذلك أن عددا من قيم الفرد يمكن أن يرجع مصدرها إلى الجماعة التي ينتمي إليها، والتي يكون نحوها مشاعر ولاء عميقة، لذلك تعكس اتجاهاته وباستمرار قيم الجماعة ومعتقداتها ومعاييرها، فكل فرد في المجتمع، هو عضو في عدد كبير من الجماعات.

1-3- المدلول السيكو – سوسيولوجي لمفهوم القيم:

يعتقد بيري أن المفهوم يعني "أي شيء يمثل أهمية للذات الإنسانية وهذا معناه أن القيمة هي الاهتمام، وأن أي شيء إذا كان موضوع اهتمام، فانه حتما يكتسب قيمة والناس دائما ينظرون إلى الأشياء على أنها طيبة أو سيئة، صحيحة أو زائفة، فضائل أو خطايا"(كمال التابعي، 1985) ، ويعرفها كل من آلبورت و فيرنون بأنها "اهتمامات واتجاهات معينة حيال أشياء، أو مواقف أو أشخاص". (محي الدين أحمد حسين، 1981)

ويعرفها "باردي D.paradi 1870-1955" بأنها ناتج حكم تقديري أي أنها تؤكد القابل للرغبة في مقابل ما يرغب، وهي أكثر من ذلك البريق الذي يصحب العقل ويوجهه أثناء الوقت الذي يتم فيه، أنها فكرة بالمعنى الحقيقي، فكرة عملية من غير شك"(سناء خض، 2009)، إن مفهوم القيم مهم بالنسبة لدارسي علم النفس الاجتماعي، لان القيم تعتبر المحددات الهامة للسلوك الاجتماعي، والقيم نتاج لاهتمامات ونشاط الفرد والجماعة وينظر البعض إلى القيم على أنها من خصائص النوع البشري، وأنها ليست مجرد اختراعات شخصية أو أنها تلتصق بجماعة معينة، إن القيم عبارة عن تنظيمات عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص والأشياء، والمعاني وأوجه النشاط والقيم موضوع الاتجاهات، كما أنها تعبر عن دوافع الإنسان، وتمثل الأشياء التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها، والقيمة مفهوم ضمني مجرد غالبا يعبر عن الفضل والامتياز، أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص والانتماء أو المعاني وأوجه النشاط المختلفة(محي الدين مختار، دت)

وبالتالي نستطيع القول أنه للقيم الاجتماعية العامة تأثير فعليا على قيم الأفراد الشخصية تبدأ من تحديد المكانة الاجتماعية للأفراد من خلال الأدوار التي يتمثلونها في المجتمع، وتصل إلى حالة اهتمام مستمر بمجالات أخرى، منشؤها ارتباط هذا الأخير بجميع مجالات حياة الفرد، ونعود هنا لنؤكد على مقولة ريمون بودون وفكرة تحقيق الذات تحقيقا ماديا، نفسيا، اجتماعيا، ومعنويا، لكل هذه العوامل مجتمعة يستطيع أي نسق في الجتمع فعلا أن يجعل من الأفراد المنتمين إليه عناصر متمركزة حول القيم الخاصة بذلك النسق مما يحدث انسجاما اجتماعيا كلانيا، فالنسق في هذه الحالة يؤدي ما عليه من أدوار منوطة به وذلك من خلال مراعاة القيم الاجتماعية المبنية على القيم الشخصية أو الفردية، وهنا يبرز مصطلح النسق القيمي والذي يشير إلى "منظومة متكاملة ومتفاعلة من القيم التي يتبناها الفرد، التي تتوزع إلى مجالات عديدة، بحيث يمثل كل مجال عنصرا متفاعلا مع بقية مجالات القيم الأخرى لتؤدي وظائف توجيهية وتقويمية ".(محمود عقل، 2001)

2- مفهوم الاغتراب:

2-1- المدلول السوسيولوجي لمفهوم الاغتراب:

جاء في معجم العلوم الاجتماعية أن: "الاغتراب بوجه عام هو (البعد عن الأهل والوطن)" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975).

أما الاغتراب عند هيجل: "هو حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد السيطرة على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل أن يسيطر هو عليها فيوظفها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية، بما فيها تلك التي تهمه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته" فالاغتراب عند هيجل ينشأ لدى الفرد في الوقت الذي تزداد فيه الهوة بينه و بين المؤسسات والعالم، ويتم التغلب عليها (حالة الاغتراب) بقيام مجتمع حقيقي تندمج فيه جميع المصالح الخاصة والعامة، ولا يتم ذلك إلا بقيام دولة مركزية قوية يستطيع المجتمع في ظلها التحكم بمصيره" .(حليم بركات، 2006)

2-2- المدلول السيكو – سوسيولوجي لمفهوم الاغتراب:

عرفه قاموس العلوم السلوكية بأنه: "تميز وانهيار العلاقات الوثيقة، وتمزق مشاعر الانتماء للجماعة الكبيرة، كما في تعميق الفجوة بين الأجيال، أو زيادة الهوة الفاصلة بين الجماعات الاجتماعية عن بعضها البعض الآخر".

على حالة أو عملية يكون فيها شيء ما مفقودا أو غريبا عن الشخص الذي يملكه أصلا، أما مفهوم ماركس للعمل المغترب يشير إلى اغتراب الفاضل عن إنتاجه في العلاقات الرأسمالية للإنتاج".

أورد جابر عبد الحميد، وعلاء الدين كفافي 1988 في معجم علم النفس والطب النفسي معنى الاغتراب بأنه: "انهيار أي علاقات اجتماعية أو بيئية شخصية".

وفي الطب النفسي يشير المصطلح إلى: "الجفوة بين الفرد ونفسه والتباعد بينه وبين الآخرين وما يتضمنه ذلك من تباعد أو غربة للفرد من مشاعره الخاصة التي تستبعد من الوعي خلال المناورات الدفاعية".

والاغتراب عند فروم "هو الفشل في التفاعل بين العوامل النفسية والعوامل الاجتماعية".

فالمغترب عند فروم ينظر إلى العالم وإلى نفسه على أنه سلعة يمكن بيعها وشراؤها وليس لها إلا قيماً مالية.

ويذهب فرويد إلى أن "الحضارة في مطالبها المتعددة التي لا يقوى الفرد على تحقيقها تنتهي به إلى رب من الاغتراب وكره الحياة التي يحياها".

ويرى أريكسون "أن الاغتراب يحدث خلال أزمة الهوية التي يبحث فيها المراهق عن ذاتيته حيث يحدث العداء بين تطور الأنا وتشتت الأنا الذي يمثل الاغتراب كمعوق أساسي لتطور حرية الأنا وعرفت آمال رزق (1986) الاغتراب بأنه: "شعـــور الفرد بالانفصال عن الآخر أو عن الذات أو عن كليهما معا"(علي الحمادي، 2014)

3- علاقة القيم بالاغتراب:

في واقع الأمر تنطوي القيم على أهمية كبرى سواءا على السبيل الفردي المتعلق بالإنسان بحد ذاته أي ذلك الحيز الشخصي الذي من خلاله يستطيع الفرد أن ينظم سلوكياته، ويضبط طريقة تفاعله مع الآخرين وفق قيم اجتماعية، أو على السبيل الجماعي من خلال تحقيق نوع من التوافق والتكامل بين جميع الأفراد، "فالقيم تؤدي وظيفة تنظيمية ترتب حاجيات وأولويات المجتمع بتخليصه من الفوضى التي يعيشها أفراده"(ثريا التيجاني، 2010)، ولما يتحقق التوافق القيمي، بين قيم الأفراد الشخصية والقيم الاجتماعية الكلانية في واقع الأمر فإن حدة ومستوى الاغتراب تشهد تقلصا وتراجعا واضحا، وهو ما يسميه المشتغلون بالسياسة (الشعور بالانتماء)، والواقع إذا

انعكس هذا إيجابا على الجو العام للمجتمع فسيكون سببا في تحقيق الولاء للمجتمع ومؤسساته، وإذا كان الولاء المستمر تجسيدا للاعتزاز بالانتماء للمجتمع والاهتمام بوجوده وبمستقبله، فهو بالتأكيد منبع ومصدر لزيادة حجم الشعور بالافتخار والاعتزاز ولعله مصد ما يسمى بالولاء التلاحمي الذي يعبر عن احترام أفراد المجتمع المتبادل والذي يعبر كذلك عنه بعلاقات تفاعلية صادقة ما بين المؤسسات الحاكمة والمشغلة لدواليب الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة وبين الفرد الاجتماعي، وهو غير الولاء المنضبط الذي يسهم بشكل أو بآخر في إعادة ضبط قيم الأفراد الشخصية في البداية والتي تتأثر بالقيم الاجتماعية التي تتحكم فيها متسلط نوعا ما، حيث أن الأفراد لهم الاستعداد للتنصل من مبادئهم السابقة والتي قد تكون قائمة على المصلحة الخاصة، من أجل المصلحة العام، ولكن إذا كان الأمر يعبر عن سطوة على القيم الخاصة للأفراد فستكون النتائج عكسية طبعا، وهو ما يتجلي كذلك من خلال صورة الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمع، على حد سواء لذلك فان أهمية القيم لابد أن يعبر عنها من خلال منظور فردي ابتداءا، تنعكس صورته في النتاج الاجتماعي لتمثلات مجموع الأفراد انتهاء.

وجب في هذا الشأن الربط بين أشكال القيم من جهة والاغتراب من جهة ثانية لنقول:

3-1- القيم الفردية والاغتراب:القيم جوهر الكينونة الإنسانية: إن القيم هي التي تشكل جوهر الإنسان وحقيقته لقد أكد "ماكس شيلر max schiler" على أن "مبدأ موضوعية القيم حيث أن الوعي بقيمة الأشياء هو بمثابة رد فعل إنساني"(إسماعيل قباري محمد، 1988)، لذلك فان الدراسة الموضوعية للقيم التي توجه سلوك الفرد، هي بمثابة تصور صحيح وموضوعي، لماهية الفرد وماهية موجهاته نحو الآخرين فالاقتراب من وضع منهج صارم، يدرس قيم الإنسان هو بمثابة تجسيد لموضوعيته التي طالما يسعى الباحثون إلى تجسيدها، بما يسمح للوصول إلى حقائق علمية تقترب دائما من الصحة إن "منهج القرآن الكريم في بيان حقيقة الإنسان جلي هذه القضية، في قصة آدم عليه السلام فجاءت قصته لتوضح للإنسان حقيقته، وقد تعددت مشاهد خلق الإنسان وتكوينه، فرسالة القرآن الكريم توضح بصورة كاملة غير منقوصة حقائق حول الخلق والتكوين، والمهمة المنوطة به والنهاية والمصير، إذ تحضى القضية القيمية بالدور البالغ الأهمية وذو تأثير كبير في كل المشاهد"(حداد صونية، 2010-2011) ، وستكون القيم الفردية هنا فريسة سهلة للاغتراب حال عدم توفر آليات ذاتية مرتبطة بالفرد لردعها، كما أنها ستكون كذلك وبنفس النتيجة حال عدم توافقها مع القيم الاجتماعية.

فالقيم في واقع الأمر جاءت لحماية الفرد من الانحراف والانجراف وراء شهوات النفس وغرائزها: للغرائز البشرية تأثير كبير على النفس قرينة للإنسان محببة إليه، تتمكن خاصة من ضعاف النفوس لذلك فان اكتساب نظام قيمي مسيطر على تلك الغرائز والشهوات يعمل على ضبطها والسيطرة عليها والتحكم فيها (حداد صونية، 2010-2011) ، وبالتالي فإن القيم تحاصر الاغتراب على مستوى الذات وهو ما يعبر عنه باهتمام الأفراد بالمناحي الشخصية النفسية والمادية والفكرية وغيرها في أطر تكفل حماية القيم والاستفادة منها في ذات الوقت.

وبالتالي تزود القيم الإنسان بالطاقات الفاعلة في الحياة وتبعده عن السلبية، "إن القيم هي التي تحدد أهداف الأشخاص، وتشعرهم بالنجاح والتقدم والسعادة الحقيقية، وتعزز ثقتهم بأنفسهم وتبعد عنهم الفشل واليأس"فقيم الفضيلة تعزز لدى الإنسان الطاقات الفاعلة وتمكنه من التفاعل الإيجابي، مع مواقف الحياة المختلفة، فأهدافه واضحة ومساراته بينة وقناعاته مبصرة، ومنظومته القيمية مسطرة وهو ينتقل من نجاح إلى نجاح، ومن انجاز إلى انجاز، يكتسب الثقة بنفسه ويدعو الآخرين بسلوكه السوي إلى الثقة به"(ماجد زكي الجلاد، 2007).

وهو الأمر الذي يجعله أكثر انتماء وأكثر انتاجية خصوصا في ظل ما يسمى بالعولمة، فالمعاناة من الضغوط النفسية كما يشير إلى ذلك **حازم خالد:** "قد تؤدي بالفرد إلى الشعور بعدم الانتماء، وفقدان الثقة، والإحساس بالقلق والعدوان، ورفض القيم والمعايير الاجتماعية، والاغتراب عن الحياة الأسرية، ويمكن القول أن الاغتراب ظاهرة إنسانية امتد وجودها لتشمل مختلف أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ويزيد فيقول لقد أشار علماء الاجتماع إلى أن الاغتراب من أهم وأخطر المشاكل الاجتماعية التي تواجه أفراد المجتمع في الوقت الراهن، وخصوصاً فئة الشباب، فالاغتراب يرتبط بمتغيرات ومفردات المجتمع.

ومشاكل المجتمع المحيط بالشخص تنعكس عليه سلبا وخاصة فئة الشباب، وتؤدي مشاكل التفكك الأسري إلى إحباط عمليات التواصل والتفاعل بين الأفراد، ناهيك عن ارتفاع معدلات البطالة وانخفاض مستوى الدخل، كل ذلك يجعل منهم أفرادا غير فاعلين في المجتمع قلقين من المستقبل بسبب العوز المادي الذي يعتبر من أهم العوامل في إيجاد مفهوم الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب.

ولعلنا نشير هنا إلى أهم سمات الاغتراب في بعده الفردي:

صفات الشخص المغترب:

1- الشعور بالانفصال النسبي عن الذات أو عن المجتمع أو عن كليهما.

2- الشعور بالعجز.

3- الشعور بحالة من الرفض وعدم الرضا التي قد يعيشها الفرد في علاقته بمجتمعه.

4- ضعف شديد في الثقة بالنفس.

5- الشعور بعدم جدوى الحياة ومعناها.

6- الشعور بالعزلة وعدم الانتماء والسخط والقلق والعدوانية.

7- الشعور باغتراب الذات عن هويتها وعن الواقع.

8- الشعور برفض القيم والمعايير الاجتماعية.

فالاغتراب في بعده الفراداني هروب من الواقع، ومشكلة من أهم مظاهرها رغبة الفرد في الابتعاد والجلوس منعزلاً عن الآخرين، وشعوره بالنقص، وعدم الثقة بالنفس، وعدم قدرته على إقامة علاقات اجتماعية قوية مع الآخرين، فيصبح شخصيةً سلبيةً في المجتمع. تتعدد أسباب الاغتراب الأسري، وأهمها الإهمال والتراخي في الواجب وزيادة الهموم الحياتية، فنجد الأب منشغلاً بعمله ساعات طويلة من النهار، وربما يتابعه في البيت عبر اتصالاته الهاتفية وما يحضره معه من ملفات، والأم مشغولة بصديقاتها وزياراتها ونشاطاتها الاجتماعية، فلا يبقى من وقتها شيء تعطيه لأسرتها، والأبناء مشغولون بهواياتهم واهتماماتهم المختلفة عن أسرهم فلا يعودون إلى بيوتهم إلا للنوم، فنقص المودة وندرة التعاطف والألفة وضعف أواصر المحبة والروابط الاجتماعية داخل الأسرة تجعل المرء يشعر بالاغتراب" . (خالد حازم، 2014)

والقيم الشخصية هي القيم التي يتميز بها الفرد، تنبثق من معتقداته واتجاهاته، يقوم بنقلها إلى"المنظمة التي يعمل بها، حيث تترجم هذه القيم والمعتقدات الشخصية إلى سلوكيات وقرارات أخلاقية داخل المنظمة" (أبو بكر مصطفى محمود، 2006) ، تعرف القيم الشخصية بأنها "عبارة عن المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة والتي تعمل توجيه رغباته واتجاهاته وتحدد له السلوك المقبول أو المرفوض والصواب والخطأ وتتصف بالثبات النسبي"(عوض عامر، 2008)، والنسبية هنا تأتي من فكرة اختلاف البيئة

الاجتماعية من مكان لآخر ومؤسسات التنشئة الاجتماعية التي يتدرج فيها الفرد، كل واحدة منها تحاول أن تطبع الفرد بطابعها الخاص لتشكل منظومته القيمية الشخصية، إن الحالة المثلى للعامل داخل المؤسسة هي تلك التي تصبح فيها قيمة الشخصية في توافق مع قيم المؤسسة التنظيمية "ففي دراسة قومية عن المديرين في الولايات المتحدة الأمريكية وجد أن الشخص ذو النواحي الأخلاقية أو القيمة العالية لمنظمة أو منشأة تهتم بالنواحي الأخلاقية والقيمية، فإنّ الأداء العالي والثقة المتبادلة والاستمرارية في العمل عالية والرغبة في العمل لساعات أطول واضحة"(مدحت محمد أبو النصر، 2007)، ما يعني أن القيم في بعدها الفردي تحمي الإنسان من أن يلج عالم الاغتراب نحو الذات، وهو الأمر الذي يعني أن الفرد يصبح شخصا غير مفيد أو غير صالح نفسه تحتمل أن تكون ميالة للانعزال وعدم التفاعل مع أفراد المجتمع، وقد تنحصر في الفرد المغترب المهارات ويذوب الابداع وربما يفنى، ولعل الأمر قد ينتقل من حالة نفسية اجتماعية بسيطة إلى حالة نفسية اجتماعية أكثر تعقيد، حيث يصبح الفرد في آخر المطاف عالة على نفسه بالدرجة الأولى ويمكن اقتراح مراحل تدهور الحالة النفسية وفق التصميم التصوري التالي:

1. عدم حصول الفرد على حقوقه النفسية والاجتماعية في المجتمع.
2. ظهور بذور الاغتراب.
3. نمو بذور الاغتراب.
4. تغذية بذور الاغتراب بشكل داخلي من الذات الفردية ومن الخارج من خلال التفاعل الاجتماعي مع العالم الخارجي.
5. انعكاسات غير حميدة كالميل إلى العنف على الذات أو الانطواء أو حتى جلد الذات.
6. يصبح الفرد أخيرا خطرا على نفسه وعالة على الآخرين، إذ يصبح غير مبدع وغير منتج وغير سوي بالمرة.

وقد قام ادوار شيرنفر الألماني بنقل موضوع القيم من الفلسفة إلى علم النفس فقسم الشخصية إلى ستة أنماط كما يلي(عبد الله عصار، 1984):

النمط النظري: إنهم أولئك الأشخاص الذين يحاولون البحث عن الحقيقة واكتشافها.

النمط الاقتصادي: تتحكم بهم القيم الشخصية، التي تتصل بإشباع حاجات مادية.

النمط الجمالي: الأشخاص الذين يحبون الجمال والتماثل في الأشكال والألوان.

النمط الاجتماعي: هذا النوع يتحكم فيه حبه للناس والحياة الاجتماعية، وهؤلاء ينجحون في استعمال الناس كغايات لأهدافهم، لا كوسائل إلى ما هو أبعد منهم.

النمط السياسي: الأشخاص من هذا النمط يهتمون بالعلاقات الاجتماعية ليس لأنهم يحبون الناس، بل لأنهم يحبون السيطرة عليهم.

النمط الديني: وهو نوع النمط الذي تتحكم فيه القيم الدينية.

ويعتبر بعض علماء النفس القيم كموجهات سيكولوجية، فالموجهات السلوكية عند توماس وزنانيكي هي الموجهات الذاتية لأعضاء الجماعة نحو القيم، والاتجاه كما يذكران هو عملية الشعور الفردي، التي تحدد النشاط الممكن والحقيقي للفرد في العالم الاجتماعي. (حسين عبد الحميد رشوان، 2006)

لقد كشفت الدراسات السيكولوجية التي تناولت القيم بالدراسة والتحليل عن حقيقة هامة، مفادها أن الإطار العام لعلم النفس في معالجته وتفسيره لظاهرة القيم يستند إلى مجموعتين أساسيتين من المتغيرات، تعتمد المجموعة الأولى على الظروف الفردية بين الأفراد "الجنس، النوع، الذكاء" وهي في هذا تستند إلى المنظور الفكري لعلم النفس الفردي الذي يهتم بالبناءات النفسية الفردية، أما المجموعة الثانية فتعتمد في تفسير القيم وتحليلها على الفروق المكتسبة من البيئة الاجتماعية "الانتماء الطبقي، المهنة، الدين، التعليم، الفروق الريفية والحضرية....إلخ، والتي ينشأ في كنفها الفرد ويتلقى منها التنشئة الاجتماعية، وهي في هذا تستند إلى المنظور الفكري لعلم النفس الاجتماعي الذي يهتم بدراسة علاقة الفرد بالبيئة الاجتماعية المحيطة به، أي يدرس السلوك على ضوء المواقف الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي، وذلك انطلاقا من البنية الاجتماعية، التي تعد مصدرا لبعض المثيرات والدوافع التي تؤثر في سلوك الإنسان وتحدده .

3-2- القيم الاجتماعية والاغتراب:

القيم تحفظ للمجتمع بقاؤه واستمراريته: على الرغم من إعلاء قيمة النزعة المادية كآلية لبناء المجتمع وإستراتجيته، إلا أن الدافع الاجتماعي أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الوسائل المادية، لا تعدو سوى وسائل لغايات أسمى تشكل البناء القيمي السليم، الذي يوجه السلوكيات الاجتماعية نحو تحديد المسارات الحضارية والإنسانية، التي بدونها تكون الحياة الاجتماعية أقرب إلى الفوضى من النظام والانضباط، وفي هذا الصدد يقول لوبون "ونحن إذا بحثنا في الأسباب أين أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم، لوجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيرا نشأ عن انحطاط أخلاقها"(ماجد زكي الجلاد، 2007) .

وتذكر بعض المصادر أن هناك عدة أسباب اجتماعية تسمح بنمو بذور الاغتراب وبالتالي تفصل الشخص عن القيم السائدة في المجتمع نذكر منه:

1. ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في موجهة هذه الضغوط.
2. الثقافة المريضة التي فيها عوامل الهدم والتعقيد.

وفي هذا الشأن يعتبر تالكوت بارسونز القيم ظاهرة اجتماعية ثقافية، مصدرها البناء الثقافي، والذي صنفه في ثلاث نماذج، أولها أنساق الرمز الثقافي، وثانيها يشير إلى معالجة الفاعل للمشكلات التعبيرية والأخلاقية، أما ثالثها فهو المكون الأخلاقي. والملاحظ هنا أن هذا النسق النظري يشير بوضوح إلى تغلغل القيم وانتشارها، بين أرجاء البناء الثقافي ومن خلال نسيجه، وباعتبار مفهوم الفعل الاجتماعي مفهوما محوريا في النظرية السوسيولوجية لدى بارسونز، حيث حاول أن يسوق تعريفا للقيم استنادا إليه، مع وضعها في النسق المعياري، اعتبرها مستوى أو معيارا للانتقاء بين بدائل الاتجاه في الموقف الاجتماعي،وأدى هذا التعريف إلى تصنيف القيم وتوجيهها عن طريق مفهوم دوافع الفاعل، في الموقف، لان هذا الدافع كما يرى بارسونز يساعد على تحقيق التوازن بين الإشباع والحرمان لدى الفاعل. إن القيم عند بارسونز هي عنصر في نسق مشترك يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف، لذلك فالقيم عند بارسونز تؤدي وظيفة هامة في المحافظة على استقرار البناء الاجتماعي.

3. التطور الحضاري التكنولوجي السريع وعدم توافر القدرة النفسية على التوافق معه.
4. اضطراب التنشئة الاجتماعية حيث تسود الاضطرابات في الأسرة والمدرسة والمجتمع.
5. تدهور نظام القيم وتصارعها بين الأجيال.
6. البعد عن القيم الدينية.

وفيما يتعلق بالبعد الديني يرى ماكس فيبر أن للقيم الدينية دورا في دعم الفعل الاقتصادي، فهو لا يرى في الدين لاهوتا ولكنه أساسا ومصدرا للقيم، والدافعية، بمعنى كيف يعطي الدين والممارسة الدينية توجيها للسلوك العملي للأفراد.

فالقيم في نظره تتحول إلى اتجاهات للأفراد طبقا للمثل الدينية، ثم أن هذه القيم الدينية والاتجاهات تعطي الحركات الدينية قوة ثورية لتحدث بذلك تغيرا اجتماعيا ثقافيا، فهو يرى في الحركات الدينية، قوة دينامية ثورية في التاريخ.

وقد حاول فيبر اختبار مدى علاقة القيم الدينية بالنتائج السوسيواقتصادية لبعض الحركات الدينية، وتوصل إلى أن واحدة من هذه الطرق الثورية لم تؤثر على مجريات التطور الإنساني مثلما أثرت به غيرها.

وفي كتابه "الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية" وضع نظريته التي انطلقت من تساؤل مفاده: هل القيم الدينية للإصلاح البروتستانتي، خاصة الاتجاه الكالفاني، لها تأثير مباشر على تطور الرأسمالية الحديثة؟، وهكذا كان هدف فيبر هو أن الرأسمالية الحديثة ما هي إلا مماثلة أو صورة للقيم الكالفنية التي ينظر فيها للعمل ليس على أنه وسيلة اقتصادية ولكن كفاية روحية، والسبب في هذا التحول هو نجاح الشخص في تحقيق الواجب الديني.

إن تتبع فيبر للعلاقة بين النسق الاقتصادي ونسق القيم الدينية، في حقبة تاريخية معينة، كشف عن القيم التي تساعد على ظهور نسق اقتصادي جديد وهو الرأسمالية الحديثة ونموها، ومع هذا فان نظريته في نظر علم اجتماع القيم لم تكن تفسيرا للسبب والتأثير ولكنها كانت محاولة لإرساء دعائم علم اجتماع القيم، إذ أوضحت جانبين هما:

- كيف أن القائد الملهم يبرز مع قيمة جديدة.
- كيف تعمل أنساق القيم الجديدة في البناء الاجتماعي لأي مجتمع(حداد صونية، 2010-2011) .

القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه: إن مدى تجذر القيم في الأفراد هو الذي يحافظ على هوية الفرد والمجتمع، حتى لو كانت المؤثرات شديدة وموجهة ولا نستغرب حين نرى أن الاستعمار الفرنسي الذي بقي في الجزائر قرابة 130 سنة، لم يستطع على الرغم من استخدام جميع الأساليب المشروعة وغير المشروعة في سبيل طمس هوية الشعب الجزائري إن البناء الثقافي لهذا الأخير أبى إلا أن يبقى صامدا أمام جميع المؤثرات، هذا البناء الثقافي هو الذي يخلق التمايز بين المجتمعات، فهو بمثابة شواهد واضحة على هوية المجتمع.

القيم تحفظ المجتمع من السلوكيات الاجتماعية والأخلاق الفاسدة: إن البناء القيمي السليم لأي مجتمع، هو الذي يمكنه من القدرة على التفريق بين ما هو واجب، وما هو غير واجب، إلى غير ذلك من المتناقضات، التي تأمر وتنهى بما تعاقد عليه أفراد المجتمع من سلوكيات تلعب دورا في الحفاظ على المجتمع من الانحطاط الخلقي.

الخاتمة :

وفي الأخير يمكن القول أن القيم في بعدها الاجتماعي تحمي الإنسان من أن يلج عالم الاغتراب وهي حالة طبيعية في دول العالم الثالث أين يحدث ألا يحصل الفرد على رغباته كاملة، وهو الأمر الذي يخلق جوا ومناخا يسمح بنمو بذور الاغتراب، ولعل الأمر قد ينتقل من حالة نفسية اجتماعية بسيطة إلى حالة نفسية اجتماعية معقدة وفق التصميم التصوري التالي:

1. عدم حصول الفرد على حقوقه النفسية والاجتماعية في المجتمع.
2. ظهور بذور الاغتراب.
3. نمو بذور الاغتراب.
4. تغذية بذور الاغتراب بشكل داخلي من الذات الفردية ومن الخارج من خلال التفاعل الاجتماعي مع العالم الخارجي.
5. الشعور باللا انتماء وفقدان الثقة في المجتمع (وهو ما يعني عدم اهتمام الفرد بالأحداث في المجتمع ويصبح وكأنه أجنبي بشكل أو بآخر).
6. يصبح الفرد أخيرا خطرا على الأخرين في المجتمع أي خطرا على المجتمع ذاته.

المراجع:

1. أبو بكر مصطفى محمود: **الموارد البشرية، مدخل لتحقيق الميزة التنافسية**، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2006.
2. إسماعيل قباري محمد: **المدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، مشكلات التنظيم الإداري والعلوم السلوكية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988.
3. أوليفيه روبول: **فلسفة التربية**، ترجمة: جهاد نعمان، منشورات عويدات، ط 2، باريس، 1982.
4. ثريا التيجاني: **القيمة من وجهة نظر العلوم الاجتماعية**، في: حوليات جامعة الجزائر، ج 1، العدد 19، مصلحة المنشورات، الجزائر، 2010.
5. حداد صونية: **علاقة القيم الإدارية بإنتاجية العامل**، رسالة لنيل شهادة: الدكنوراه، تحت اشراف: بوقرة بلقاسم، قسم علم الاجتماع كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011، غير منشورة.
6. حسين عبد الحميد رشوان: **الثقافة "دراسة في علم الاجتماع الثقافي"**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006.
7. حليم بركات، **الاغتراب في الثقافة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، جمهورية مصر العربية، سبتمبر 2006.
8. خالد حازم: **(جريدة العرب، لندن، العدد 9467)**، بتاريخ 2014/02/12.
9. دينكن ميتشل: **معجم علم الاجتماع**، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، ط 1، بيروت، 1981.
10. سناء خضر: **الفلسفة الخلقية والعلم نظرة نقدية**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 9، الإسكندرية، 2009.
11. عاطف غيث، غريب سيد احمد: **علم الاجتماع العام**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1978.
12. عاطف وصفي: **الثقافة والشخصية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
13. عبد العليم محمد: **دور المثقف في عالم متغير**، في: مجلة دراسات إستراتيجية، مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية، دمشق، 2003.
14. عبد الله عصار: **مبادئ علم النفس الاجتماعي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
15. علي الحمادي، **الشروق أون لاين**، شوهد 2014/03/12، سا 10:40 صباحا .http://www.marefa.org/index
16. عوض عامر: **السلوك التنظيمي الإداري**، دار أسامة، ط 1، الأردن، 2008.
17. كمال التابعي: **الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية**، دار المعارف، القاهرة، 1985.
18. ماجد زكي الجلاد: **تعلم القيم وتعليمها"تصور نظري وتطبيقي واستراتيجيات تدريس القيم"**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط 2، عمان، 2007.
19. محمد عاطف غيث: **قاموس علم الاجتماع**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1979.
20. محمود عقل: **القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية بدول الخليج العربي**، السعودية، 2001.
21. محي الدين أحمد حسين: **القيم الخاصة لدى المبدعين**، دار المعارف، القاهرة، 1981.

22. محي الدين مختار: **محاضرات علم النفس الاجتماعي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
23. مدحت محمد أبو النصر: **إدارة منظمات المجتمع المدني، دراسة في المجتمعات الأهلية**، ايتراك للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة ، 2007.
24. **معجم العلوم الاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، جمهورية مصر العربية، 1975.